مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة-تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 07/ العـدد: 01/ جوان (2023)، ص.640/632

# قراءة في رواية "القوس والفراشة" لمحمد الأشعري
# A reading of the novel "The Bow and the Butterfly" by Muhammad Al-Ash'ari

**شريط سنوسي**
**cherietsenouci@hotmail.fr**
**جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)**

تاريخ الاستلام: 2022/10/22 تاريخ القبول: 2023/05/11 تاريخ النشر:2023/06/02

**ملخص:**
تهدف هذه الدراسة إلى الانفتاح على قضية تذويت الكتابة التاريخية لدى الروائي المغاربي، وكيفية الاشتغال على هذا العنصر باعتباره آلية/تقنية سردية جديدة عرفتها النصوص الروائية المغاربية المعاصرة، بغية التعرف على حضور ذات الكاتب في الرواية. خصوصاً وأن هذه التيمة تكررت كثيراً في النصوص الروائية المغاربية، حتى أصبحت مَعْلَما من معالم الكتابة السردية في أقطار المغرب العربي. مما أعطاها خصوصيات مرتبطة بنوعية التجربة وطبيعتها للذات الكاتبة، وكيفية تجسيدها روائياً. يمكن ذكر بعض النصوص الروائية المغاربية التي اتخذت الذات محوراً أساسياً يدور حولها السرد، منها: رواية (ذاكرة الماء، محنة الجنون العاري) للروائي الجزائري واسيني الأعرج، ورواية (دمية النار)للروائي الجزائري بشير مفتي، ورواية(دم الغزال) للروائي الجزائري مرزاق بقطاش، ورواية(رماد الحياة) للروائي التونسي حسونة المصباحي، ورواية(حِنَّة) للروائي التونسي محمد الباردي،ورواية(لعبة النسيان) للروائي المغربي محمد برادة، ورواية(جنوب الروح) للروائي المغربي محمد الأشعري،...
هؤلاء الكتاب وغيرهم، انطلقوا من خاصية أساسية، تتمثل في أن الذات تختزن تجارب شخصية عديدة ومتنوعة، يمكن استثمارها سردياً. هذا ما استنتجناه من قراءةرواية"القوس والفراشة" للروائي المغربي محمد الأشعري، محاولين بذلك معرفة حدودالتداخل بين الذات(المؤلّف)والتاريخ والتخييل في النص الروائي.
**كلمات مفتاحية:**التذويت-رواية- الكاتب-النص- السرد-التاريخ.

***Abstract:***
*This study aims to open up the issue of the subjectization of the historical writing of the Maghreb novelist, and how to work on this element as a new narrative mechanism/technique known to the contemporary Maghreb novelist texts, in order to identify the presence of the same writer in the novel. Especially since this theme was repeated a lot in the Maghreb fictional texts, until it became a landmark of narrative writing in the countries of the Maghreb. Which gave her specificities related to the quality of the narrative experience of the self-writer, and how to embody it as a novelist. It is possible to mention some Maghreb novel texts that have taken the self as a main axis around which the narration revolves, including: the novel (The Doll of Fire) by the Algerian novelist Bashir Mufti, the novel (Blood of the Gazelle) by the Algerian novelist MerzakBaqtash, the novel (Ashes of Life) by the Tunisian novelist Hassouna Al-Mesbahi, and the novel (South). The Spirit) by the Moroccan novelist Mohamed Al-Ash'ari, ..because the self stores many personal experiences, which can be invested in a narrative. This*

*is what we concluded from reading the novel "The Bow and the Butterfly" by the Moroccan novelist Muhammad Al-Ash'ari, trying to find out the limits of the overlap between the self (the author) with history and imagination in the fictional text.*

***Keywords:****Personalization - novel - writer - text - narration - history*

**استهلال:**

يعتبر "محمد الأشعري" من الكتاب المغاربة القلائل الذين يجمعون في الكتابة الإبداعية بين أجناس أدبية عديدة ومختلفة، فهو كاتب روائي، وقاص وشاعر. إضافة إلى أنه رجل سياسي، مارس مسؤوليات عديدةعلى أعلى مستوى في المملكة المغربية، فقد عُيّن وزيراً للثقافة في حكومة التناوب سنة1998، ثم وزيراً للثقافة والاتصال سنة2000، ثم وزيراً للثقافة من سنة2002 إلى2007.

مارس الصحافة، وترأس تحرير عدد من المجلات والملاحق الثقافية، منها (مجلة آفاق)، وعمل صحفياً بجريدة الاتحاد الاشتراكي، ومدير مكتبها في الرباط. ترأس اتحاد كتّاب المغرب عام1989 وبقي على رأسه لثلاث ولايات متتالية. كما ناضل في حزب الاتحاد الاشتراكي.

ألّف عدة أعمال إبداعية في شتى أجناس الأدب(الرواية، القصة، الشعر)، على غرار: رواية (جنوب الروح1996)، و(القوس والفراشة*2010)، و(علبة الأسماء2014)، و(ثلاث ليال 2017)، و(العين القديمة 2019)، و(من خشب وطين 2021).

بالإضافة إلى المجموعة القصصية(يوم صعب1991)، ومجموعة من الدواوين الشعرية:(صهيل الخيل الجريحة1978، عينان بسعة الحلم1982، يومية النار والسفر1983، سيرة المطر1988، مائيات1994، سرير لعزلة السنبلة1998، قصائد نائية2005، حكايات صخرية2006، أجنحة بيضاء في قدميها2007).

رغم أنه لم يكتب إلاّ ثلاثة نصوص روائية في مساره الإبداعي إلى حد الآن، إلاّ أن هذه الروايات تعتبر من أبرز النصوص السردية الروائية المغربية التي حازت على مكانة مهمة لدى النقاد، وإشادة واسعة بقيمتها الفكرية والفنية والجمالية، وهذا ما جعلها تتحصل على الجائزة العالمية للرواية العربية(البوكر) سنة(2011).

شكّلت هذه القفزة النوعية والتميز الذي عرفته هذه الرواية، ضمن مسيرة الرواية المغربية، دافعاً للنقاد والأدباء للاحتفاء بها والاهتمام بمكوّناتها وخصائصها السردية. فالتبذلك حيزاً واسعاً من القراءة والدراسة والتحليل والمساءلة لمتنها السردي والتيمات التي عالجتها، إضافة إلى التشكيل السردي الذي اعتمده محمد الأشعري في روايته.

هذا الاحتفاء والاهتمام بالرواية، يعطي الانطباع بأهمية وقيمة الكاتبمحمد الأشعري في المجتمع المغربي، ونوعية كتاباته التي تجمع بين تذويتSubjectivisationالكتابة باعتبارها تجربة تمتح معالمها من شخصية المؤلف، وبين استحضار ظروف المجتمع المغربي بمستوياته المختلفة السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، والتاريخي.

انطلاقاً من هذه النبذة التعريفية الخاصة بالروائي محمد الأشعري، وتجربته في النزوع نحو الذات والتاريخ واستثمارهما في روايته "القوس والفراشة". فإن غايتنا من هذه الدراسة هو الانفتاح على هذه التجربة (تذويت الكتابة:أي الذات والتاريخ في النص الروائي) لمعرفة خصوصياتها ومعالمها ضمن متن الرواية.خصوصاً بعدما عرفت هذه التجربة تراكماً سردياً متعدداً، وانتشاراً واسعاً سواء في المغرب العربي أو في المشرق العربي. ففي المغرب العربي نستطيع أن نذكر البعض منها، مثل:"ذاكرة الجسد، فوضى الحواس" لأحلام مستغانمي،"لعبة النسيان، امرأة النسيان" لمحمد برادة، "الآخرون، رماد الحياة" لحسونة المصباحي، "دم الغزال" لمرزاق بقطاش، "معزوفة الأوتار المزمومة" لإبراهيم الكوني، "ذاكرة الماء: محنة الجنون العاري" لواسيني الأعرج،.....وغيرها من النصوص السردية الروائية الجادة. أما في المشرق العربي، فيمكننا أن نذكر الروايات التالية:"بقايا صور، المستنقع" للروائي السوري حنا مينة، "مذكرات امرأة غير واقعية" للروائية سحر خليفة، "ألواح" للروائي اللبناني رشيد الضعيف، "العصفورية" للروائي السعودي غازي القصيبي،...

**الرواية وتذويت التاريخ:**

نعنيبتذويتSubjectivisation التاريخ أن "تصبح العلامات الدالة عليه من مآثر لحظة من لحظات معيش الشخصية الروائية، وارتباطاً لصيقاً بها وبمعاناتها اليومية، وحيث لا يبقى المظهر التاريخي مظهراً خارجياً، بل إنه يصبح جزءاً من

ملامح الشخصية وذاتيتها ونظرتها إلى العالم والوجود"[1]. أما الروائي والناقد المغربي محمد برادة فيرى أن التذويت يعني "حرص الروائي على إضفاء سمات ذاتية على كتابته وذلك من خلال ربط النص بالحياة والتجربة الشخصيتين، وجعل صوت الذات الكاتبة حاضراً بين الأصوات الروائية لتمييز محتوى النص عن الخطابات الأخرى التي تعطي الأسبقية للقيم والأفكار الغيرية"[2]. وهذا ما سعى إليه محمد الأشعري في روايته "القوس والفراشة"من خلال شخصية "يوسف الفرسيوي" الذي يعدّ الشخصية البطلة في الرواية وساردها،إذ يقوم بسرد محكياته الشخصية(الذاتية) التي عايشها من قبل. فهي وإن كانت حقيقية بالنسبة إليه باعتبارها أحداثاً وقعت بالفعل في أزمنة وأمكنة متعددة ومختلفة، أي عبر محطات الشخصية الساردة. فإنها بالنسبة للروائي محمد الأشعري تتقاطع بين التاريخي/الحقيقي، وبين التخييلي. ومن ثم، فإن فعل التذويت التاريخي في(القوس والفراشة) يمت بصلة إلى الروائي "محمد الأشعري". فالرواية تتضمّن عبر محكياتها بعض الأحداث والمواقف المتعلّقة بالروائي. فكثيراً ما يتماهى البطل "يوسف الفرسيوي" مع الروائي "محمد الأشعري". لذلك يصبح تذويت التاريخ في هذه الرواية مستمدّاً مشروعيته من رافدين اثنين، هما:

1/شخصية البطل/السارد "يوسف الفرسيوي".

2/شخصية الروائي "محمد الأشعري".

ونظراً لخصوصية الفن الروائي وجماليته من جهة، ومن أجل ضمان ابتعاد الكاتب عن كتابة سيرة ذاتية لحياته بطريقة مباشرة كما جاء في رواية "الخبز الحافي" للروائي المغربي محمد شكري.فقد ابتكر الروائي شخصية متخيّلة هي "يوسف الفرسيوي" إضافة إلى شخصيات أخرى في روايته. لتجسيد فعل التذويت المتعلّق بالتاريخ الشخصي(المرتبط بالبطل/والروائي) من جهة، والتاريخ العام(المتعلّق بالمغرب) من جهة أخرى، لكونه أكثر تأثيراً في القارئ، نظراً لارتباط الأحداث والوقائع الكبرى بتاريخ المغرب من خلال مدنها(الدار البيضاء، الرباط، مراكش، فاس). وكذلك من خلال الأحداث المؤلمة التي وقعت في المغرب، أهمها: تفجيرات 16ماي2003 بالدار البيضاء، وفضائح العقار، والفساد ...وغيرها من الأحداث التي شهدها المغرب خلال فترات زمنية مختلفة ومتعددةخلالالسبعينيات والثمانينيات على وجه التحديد.

**تكثيف المتن الحكائي، واستلهام التاريخ في رواية "القوس والفراشة":**

تتميّز رواية(القوس والفراشة) بخاصية تعدد الأحداث التاريخية وتنوعها، حيث يعود السارد "يوسف الفرسيوي" بنا إلى ماضيه، ليعيد علينا عبر تقنية السرد الاسترجاعي، الكثير من الأحداث المأساوية الخاصة به، خصوصاً انتحار والدته الألمانية "ديوتيما"، ومقتل ابنه "ياسين" في أفغانستان، وإصابة والده "محمد الفرسيوي" بالعمى. إضافة إلى نضاله في الحزب اليساري ودخوله السجن. وكذا استحضاره أحداثاً تاريخية، منها سرقة تمثال "باخوس" إله الخمر الإغريقي، والذي تمّت سرقته من متحف الآثار الكائن بمدينة "وليلي". وتفجيرات الدار البيضاء، والظاهرة الأصولية، والانفتاح الديمقراطي الذي شهده المغرب، وفضائح العمران، والاتجار غير المشروع في العقار، وسرقة الآثار، والسياحة الجنسية في مراكش...وغيرها من الأحداث المؤلمة التي عايشها البطل.

يقول السارد "يوسف الفرسيوي":

"والحال أنني عشتُ حتى الآن حياة هادئة إلى حد ما، فباستثناء علاقتي المعقدة مع والدي، ورحيل والدتي التراجيدي، وسنوات السجن التي قضيتها بالسجن المركزي بالقنيطرة دون أن أعرف لماذا، كانت حياتي عبارة عن حلقات متصلة يفضي بعضها الى بعض بدون عناء.

انخرطت أولاً في مجموعة يسارية متطرفة عندما كنت أعيش بفرانكفورت، قادتني إلى جماعة يسارية مغربية منشقة عن الحزب الشيوعي، ثم سرعان ما تعبت من الجهد الذي كان يتطلبه مني البقاء في أقصى الأشياء، فانخرطت في حزب يساري معتدل، لم يمنع أحد رفاقي القدامى من الاحتفاظ باسمي في مذكرته، الشيء الذي قادني إلى اعتقال أسطوري في درب مولاي الشريف، ثم إلى محاكمة لم أفهم منها حرفاً واحداً، ثم إلى السجن الذي التهم ثلاث سنوات من حياتي دون مقابل"[3].

من خلال قراءتنا لهذا النص، وتَعرّفنا على متنه السردي، استنتجنا أن الروائي أراد استذكار تاريخ السلالة الفرسيوية (نسبة إلى آل الفرسيوي)، والمتمثلة:

1.الجد/محمد الفرسيوي.
2.الأب/يوسف الفرسيوي.
3.الابن/ياسين الفرسيوي.
يمتلككلّ واحد من هؤلاء تاريخاً طويلاً من الأحداث والقصص المرتبطة بسيرته وسيرة المجتمع والفترة التي عاشها. لقد دأب الكاتب على العودة إلى تاريخ الأجيال الثلاثة لاستحضار الخراب والانهيار الذي وصلت إليه هذه الشخصيات(عائلة الفرسيوي)، والفشل الذريع الذي لازمهم في الكثير من الأحيان. وبالتالي فإن رواية "القوس والفراشة" تعيد تَمثُّل التاريخ الشخصي والجماعي لأجيال في ارتباطهم بمجتمعهم الذي شهد الكثير من الأحداث التي كانت سلبية، وأثّرت في المجتمع المغربي. وهذا ما أشار إليه الناقد والروائي محمد أمنصور في دراسته لهذه الرواية، حيث يقول:"تبدو أجواء الانهيار والخراب والفوات منصهرة في "القوس والفراشة" ضمن منحى نصي مركب يستقطب أوضاعاً وحالات وأسماء وتجارب ذات عمق درامي تكثفه مصائر شخوص روائية بالإمكان رصد مسارتها وفق الخطاطة التالية:
أ.الفرسيوي الجد/محمد: الفشل في الثأر التاريخي لمجد السلالة.
ب.الفرسيوي الابن/يوسف: الفشل في ضمان الاستمرارية البيولوجية للسلالة.
ج.الفرسيوي الحفيد/ياسين: النهاية الظلامية لمسار السلالة[4].
هذا الوصف الذي ذكره الناقد أمنصور عن طبيعة الرواية وهي تستعرض مصائر شخصياتها، انطلاقاً من الجد(محمد الفرسيوي)، مروراًبالابن(يوسف الفرسيوي)، وانتهاءًبالحفيد(ياسين الفرسيوي)، يدعّم الرؤية العامة للرواية من خلال بنائها السردي. إذ اعتبر أجواء الرواية تدور في فلك درامي، يغلب عليه الطابع المأساوي التراجيدي. نظراً لما وقع ليوسف الفرسيوي من أحداث خطيرة جداً أثّرت فيه كثيراً، خاصة مقتل ابنه "ياسين" في أفغانستان.
وفي السياق ذاته،يواصل الناقد محمد أمنصور تفكيكه لهذا النص بالقول:
"وهي ثلاثة أجيال تتقاسم الخراب في سياق ثلاث لحظات من الانهيار المتعاقب:
خراب في العلاقات العائلية(سوء التفاهم بين الابن يوسف وأبيه الفرسيوي، بل سوء النية الذي يصل إلى درجة الشك في أن يكون قاتل أمه، وهذا أحد مداخل الرواية إلى مساءلة قضية الأصل وعلاقات النسب).
خراب في العلاقات العاطفية(انهيار العلاقة الزوجية بين يوسف وبهية بعد موت ياسين في أفغانستان، ابنهما الوحيد، وهو أحد مداخل مساءلة مفهوم الحب وتحوّلاته).
خراب العلاقات الاجتماعية جراء ملابسات علاقات الصداقة وما يترتب عنها من مفارقات).
إنها مستويات وتجليات أشكال الخراب والانهيار تتخذ لها لبوساً درامياً عبر استجلاب التفاصيل، وبناء العوالم، وتتبع مصائر الأفراد والجماعات، واستغوار الأزمنة المتباعدة والأمكنة ذات الحضور الوظيفي في تشكلات الرواية"[5].
بناء على هذه الرؤية التي ذكرها الناقد محمد أمنصور، نستطيع أن نقول إن استلهام الروائي محمد الأشعري التاريخ في نصه الروائي ليكتب لنا رواية (تخييلية) يتداخل فيها الواقع/الحقيقة بالتخييل عبر سارد مشارك(يوسف الفرسيوي) في أحداث الرواية باعتباره الشخصية الرئيسة التي يدور حولها السرد. هادفاً بذلكالروائي إلى إعادة قراءة التاريخ بمنظار الحاضر.
يتجلى التمظهر التاريخي في هذه الرواية، في الأحداث التاريخية المرتبطة بشخصية المؤلّف في حدّ ذاته، إذ نجده يطعّم روايته ببعض الأحداث والتجارب من سيرته الشخصية التي عرفت أحداثاًعديدة، أراد أن يوثّقها في نصه(القوس والفراشة). وقد ذكرناها بالتفصيل في عنصر(الاستهلال). وهذه الوقائع الحقيقية للروائي نجد لها مقابلاً في شخصية "يوسف الرسيوي" في الرواية. فالبطل "يوسف الفرسيوي" يتشابه كثيراً مع الروائي محمد الأشعري في طبيعة الأحداث التي وقعت له.مما يعطي مشروعية واضحة للقارئ لاعتبار أن هذه الرواية تعبّر عن شخصية الروائي محمد الأشعري. فهي إذن تنزع نحو السيرة الروائيةلكونها تجمع بين الحقائق الواقعية للكاتب والتي حدثت له فعلاً، وبين عنصر التخييل الذي ينحو نحوه الروائي من أجل إعطاء للنص متعة وتشويقاً للرواية بشكل عام.وهذا رغم أن الكاتب لم يجنّس نصه بجنس "سيرة روائية"، بل جنّسهاب:"رواية".

ومن ثم، نستطيع القول إن "محمد الأشعري" وجد في القالب الروائي الأنموذج الأدبي الذي يستطيع من خلاله تذويت التاريخ المرتبط بسيرته الشخصية،وبما عرفه المغرب خلال فترة الثمانينيات على وجه التحديد.من أحداث بعضها مرتبط بالإرهاب، وبعضها بالفساد السياسي والاجتماعي والتحوّلات الاقتصادية، والآفات الاجتماعية، التي طفت على سطح الواقع الاجتماعي المغربي من سرقة، وجنس، واغتصاب، وشعوذة، وعنف....وغيرها من المظاهر الاجتماعية السلبية التي أثّرت بشكل كبير على المغرب. يقول محمد برادة في تحليله لهذه الرواية:"من ثم يمكن أن نعتبر "القوس والفراشة" رحلة استبطان يحكيها يوسف بعد أن أخفق في تجربته السياسية التي يكتفي بالإشارة إليها من دون استحضار مشاهدها، لكننا نفهم أن الإخفاق زلزل كيانه وأصبح يلاحقه في شكل نوبات نفسية وجسدية، وانضاف إلى ذلك خبر "استشهاد" ابنه الوحيد ياسين وهو يحارب إلى جانب طالبان. من هذا الموقع، إذن، يسترجع يوسف المناضل والصحفي اليساري في مستهل القرن الواحد والعشرين، مسار حياته التي بلغت الخمسين والتي قضى جزءاً منها في ألمانيا حيث وُلد. إلاّ أن ما يلفت النظر هو اللجوء إلى تقديم السرد في شكل متواز، ينطلق من "حاضر" أحداث الرواية (العلاقة مع الزوجة والعشيقة والأصدقاء وموت ياسين والسهرات) مع ارتدادات إلى الماضي القريب، أو استعادة الأب لمسيرته التي يمتزج التاريخ فيها بالأسطورة"[6].

**العتبات النصية:**

تشكّل العتبات النصية مداخل مهمة في فهم النص الروائي، فهي تتيح للقارئ الولوج إلى عالم النص انطلاقاً من العتبات التي يقدّمها الروائي، باعتبارها مفاتيح السرد، منها: عتبة العنوان، عتبة التقديم، عتبة الإهداء، عتبة النصوص الموازية، عتبة الشروحات المرافقة للنص....، فهذه العتبات تساعد القارئ على الفهم والاستيعاب. كما تسهم في تقريب الدلالات والمفاهيم التي يخفيها النص.

**1.عتبة العنوان:**

لا شك أن العنوان يمثّل أول عتبة يلجها القارئ للدخول إلى عالم النص. فالعنوان كما وصفه الناقد جميل حمداوي هو "عتبة النص وبدايته، وإشارته الأولى. وهو العلامة التي تطبع الكتاب أو النص، وتسميه، وتميزه عن غيره..."[7]. ويعتبره الناقد بوشوشة بن جمعة "فاتحة خطاب الرواية وأولى عتبات النص، حيث يمثّل ملفوظ ما قبل الحكي الأول، وما بعد الحكي الأخير. وهو وثيق الصلة بهما، وإن بدا في الظاهر مستقلاً عنهما، باعتبار ما يتضمنه من مؤشرات جمالية ودلالية، تستمدّ بلاغتها من الإحالة إليهما إيحاء، لا إعلاناً، وتلميحاً لا تصريحاً"[8].

فبالنسبة لرواية محمد الأشعري نجد العنوان يتكوّن من ثلاث كلمات هي: (القوس، و، الفراشة)(اسمان وحرف عطف بينهما). وكلّ كلمة تحمل دلالة معرفية. فالقوس يحيل على نهر "أبي رقراق" في مدينة الرباط من خلال حلم من أحلام "ياسين"، الذي كان يحلم بوضع قوس كبير من الفولاذ على ضفتي المصب ليربط بين مدينتي سلا والرباط[9]. أما الفراشة فتحيل إلى الفندق الضخم الذي بناه "أحمد مجد" في مراكش، وهو فندق يحتوي على(09) طوابق. أطلق عليه اسم "الفراشة".

ومن ثم، فإن صيغة العنوان المركب من "القوس والفراشة"، يحمل في دلالته ثنائية الحلم/الواقع. الحلم باعتبارهلم يتحقق بالنسبة ل"ياسين"بسبب وفاته في أفغانستان، والواقع لكونه يعبّر عن ظروف المغرب الحالي(نعني به تاريخ كتابة الرواية 2010)، الحامل للتحوّلات والمتغيرات الكثيرة التي يعرفها حالياً.ورغم أن العنوان في هذه الرواية لا يحيل إلى التاريخ، ولا يحتويه، إلاّ أن متن الرواية هو الذي يتضمّن التاريخ، باعتباره يشتمل على مجموعة من الأحدث التي عرفها المغرب خلال الثمانينيات من القرن الماضي.

**2/عتباتنصوص موازية أخرى:**

تضمّنترواية "القوس والفراشة" على نص قصير للشاعر "هولدرين":

" ليس شيئاً بالنسبة لي ما لا يمكنه أن يكون لي كلاً إلى الأبد"[10].

يحضر هذا الشاعر في متن الرواية بشكل متواتر، حيث يستعرض الروائي بعض المقاطع من قصائده الشعرية. فالنص الذي أورده محمد الأشعري يحمل دلالة رمزية واضحة تنطبق على شخصيات الرواية، خاصة "محمد

الفرسيوي" وابنه "يوسف". فهذه المقولة تحمل قضية جدلية في تركيبتها الشعرية، بين قيمة ومكانة الشيء وأهميته من جهة، ومن جهة أخرى مدى ارتباط هذا الشيء بامتلاكه له إلى الأبد. وهذا ما لا ينطبق على "محمدالفرسيوي"، الذي فقد كل المكتسبات التي حققها من قبل. وبالتالي لم تعد تعني الحياة له شيئاً، والدليل على ذلك هو يتمثل في طبيعة مسيرة الإنجازات المتعددة، خاصة المشاريع التجارية التي مارسها، والتي مكنته من جمع ثروة طائلة. لكنه في النهاية أفلس وفَقَدَ كل شيء، وأصيب بالعمى، ليصبح بعد ذلك دليلاً سياحياً في مدينة "وليلي".

**بناء الرواية:**

عَمَدَ "محمد الأشعري" إلى وضع استراتيجية في كتابة روايته، تقوم على تقسيم الرواية إلى فصول(تحتوي على08 فصول)، كلّ فصل يحمل قصة معينة، وضع لها الروائي عنواناً واضحاً، تنزع هذه الفصول بعناوينها وطبيعة قصصها نحو سرد حكاية من حكايات الشخصيات الأساسية والمتمثلة في: (الفرسيوي الجد- الفرسيوي الأب- الفرسيوي الابن).

جاءت فصول الرواية على الشكل الآتي:

الفصل الأول: الورطة حسب الفرسيوي.(من ص07 الى ص54)

الفصل الثاني: حجر "الزاوية".(من ص55 الى ص74).

الفصل الثالث: الحالمون... وغيرهم.(من ص75 الى ص114).

الفصل الرابع: معجزات الحياة الصغيرة.(من ص115الى ص160).

الفصل الخامس: فسيفساء نحن إلى الأبد.(من ص161الى ص198).

الفصل السادس: كتاب المراثي.(من ص199 الى ص250).

الفصل السابع: الغربان.(من ص251 الى286).

الفصل الثامن: الفراشة.(من ص287 الى ص332).

فبالنسبة لسرد أحداث هذه الفصول، نجد أن "يوسف الفرسيوي" يتكفّل بسرد سبعة(07) فصول، بينما يتكفّل "محمد الفرسيوي" بسرد فصل واحد(01) وهو (الفصل الخامس: فسيفساء نحن إلى الأبد). وضمن هذه الفصول تتوالى الأحداث والحكايات لهاتين الشخصيتين، حيث يقوم كلّ فصل بتقديم الحكي المرتبط أساساً بشخصية "يوسف الفرسيوي" في علاقته بالشخصيات الأخرى من جهة، وبشخصية "محمد الفرسيوي" في علاقته بابنه "يوسف"، وشخصيات أخرى كزوجته الألمانية "ديوتيما"، وباقي الشخصيات المشاركة في الرواية من جهة أخرى. وعبر فصول الرواية يتوزع السرد بين ما هو تاريخي(أي حقيقي)، وما بين هو تخييلي، إذ يتداخل السرد التاريخي بالسرد التخييلي ليشكّل نمطاً سردياًتذاوتياً متخذاً من ذاكرة الشخصية الساردة أداة لاستذكار الأحداث والمواقف التي عايشتها عبر فترات زمنية معينة. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى، فإن تقنية السرد التي اعتمد عليها الروائي محمد الأشعري هي السرد المرتبط بالحاضر. إذ تبدأ الأحداث من تواجد "يوسفالفرسيوي" في بيته رفقة زوجته. وهو يسرد حالته الكئيبة التي أصبح عليها بعد وصول خبر مقتل ابنه "ياسين" في أفغانستان. بعدها ينتقل السرد إلى الماضي(عبر تقنية الاسترجاع)،من خلال نزوع "يوسف" نحو ماضيه ليسرد الأحداث التي وقعت له.

فمثلما نلاحظ هناك تنوع في طريقة السرد. من السرد الذي يتكئ على الزمن الحاضر، إلى السرد الذي يعتمد على الاسترجاع عبر ذاكرة البطل "يوسف الفريسوي". وهذا ما يجعلنا نستخلص من خلال هذا الاستعمال لتقنيات السرد في رواية (القوس والفراشة) أن الكاتب محمد الأشعري وظّف تقنية تكسير خطية السرد، التي هي من تقنيات ومكوّنات الرواية الكلاسيكية. محدثاً بذلك خلخلة على مستوى السرد. وهذهالخلخلة (سواء نجدها على مستوى الشكل أو المضمون)تعتبر من الخصائص الفنية والجمالية التي تقوم عليها الرواية الجديدة، بما في ذلك الرواية العربية الجديدة، والتي اعتمدت على عنصر التجريب. وهذا ما جعل الروائي محمد الأشعري في روايته "القوس والفراشة"، وحتى في روايته السابقة "جنوب الروح " ينخرط في مشروع التجريب، من خلال اشتغاله على عناصر جديدة، منها: عنصر التذويت، وتقنية الاسترجاع، وتكسير خطية السرد، وتوظيفه لتقنية تعدد الأصوات في الرواية، أو ما يسمّى ب"البوليفونية[11] Poliphonie "عند مخائيل باختين.حيث تتعدد الأصوات في الرواية، فاسحة المجال للشخصيات للتحاور فيما بينها، والتعبير عن مواقفها.

**شخصيات الرواية:**

تضمنت رواية "القوس والفراشة" شخصيات عديدة ومتنوعة، ومختلفة عن بعضها البعض، من حيث طبيعتها وأبعادها وأهدافها. وأغلبيتها شخصيات متخيّلة: يوسف الفرسيوي، محمد الفرسيوي، بهية بومهدي، إبراهيم الخياطي، أحمد مجد، ليلى، فاطمة بدري، ساراماغو(شخصية حقيقية يتم استحضارها عبر السرد دون حضورها كشخصية مشاركة في أحداث الرواية)، عبد الهادي، الغالية أم أحمد مجد، الحاج التهامي، خواكين.

**1.يوسف الفرسيوي:** بطل الرواية وساردها، صحافي وروائي، وناشط سياسي. عاش فترة صعبة بعد مقتل ابنه"ياسين" في أفغانستان.كانت علاقته مع زوجته "بهية" يسودها التشنج، وصلت في النهاية إلى الطلاق. هذه الشخصية تتماهى مع شخصية الروائي محمد الأشعري.

**2.محمد الفرسيوي:** والد "يوسف الفرسيوي"، عاش في ألمانيا وتزوج بفتاة ألمانية "ديوتيما"، ثم رجع إلى المغرب. عاش حياة مضطربة، عرف فيها نجاحاً باهراً، حيث استطاع أن يجني ثروة كبيرة من تجارته المتعددة. لكنه بعد ذلك يفقَد كلّ شيء. ويصاب بالعمى، في النهاية يتحوّل إلى دليل سياحي في مدينة "وليلي" الأثرية.

**3.بهية بومهدي:** زوجة "يوسف الفرسيوي"، عاشت حياة مضطربة مع يوسف الفرسيوي، بعد مقتل ولدها "ياسين" في أفغانستان، فقدت العيش مع زوجها، لتنفصل عنه وتتزوج بصديقه أحمد مجد.

**4.أحمد مجد:** صديق "يوسف". محام ورجل أعمال، هو الذي بنى عمارة (الفراشة)، تزوج من "بهية" بعد أن انفصلت عن زوجها "يوسف".

**5.إبراهيم الخياطي:** صديق يوسف وأحمد مجد. محاومناضل حقوقي. وهو متهم بالشذوذ الجنسي مع صديقه عبد الهادي.

**6.عبد الهادي:** صديق إبراهيم الخياطي.

**7.ليلى:** صديقة "يوسف" وحبيبته الأولى، امرأة مطلقة. رفيقة الروائي الأجنبي "خوسي ساراماغو".

**8.فاطمة بدري:**صديقة يوسف. صحفية.

**9.الغالية:** أم أحمد مجد، امرأة في الخامسة والستين من عمرها، غير متزوجة، متكفلة بأخيها أحمد مجد.

**10.الحاج التهامي:** والد بهية. أستاذ جامعي بجامعة محمد الخامس بالرباط.

**11.خواكين:**صحفي إسباني.صديق فاطمة.

رغم أن هذه الشخصيات متخيّلة، إلاّ أنها تقوم بسرد أحداث واقعية، حيث يمثّل فيها "يوسف الفرسيوي" الشخصية الرئيسة باعتباره السارد والبطل، كما أن تاريخه يتماهى مع شخصية المؤلّف محمد الأشعري، لذلك قلنا بعض هذه الأحداث حقيقية، لكون أن المؤلّف عايش بعضها مثلما ذكرنا سابقاً. مستعملاً في ذلك طريقة التذويت كتقنية سردية لجعل الذات الساردة/الكاتبة تحكي عن نفسها وتسرد تاريخها عبر شخصيات متخيلة.

**المكان الروائي:**

تنوّعت الأماكن في رواية (القوس والفراشة) وتعدّدت بشكل كبير، حيث احتوت على أماكن عديدة، منها: الدار البيضاء، الرباط، المغرب، فاس، تطوان، سلا، أكادير، زرهون، بومندرة، وليلي، مدريد، فرانكفورت، دوسلدورف. حيث نسافر مع السارد إلى هذه الأمكنة، عبر فعل السرد الذي يتكئ على ذاكرة "يوسف الفرسيوي"، وهو يقوم باسترجاع حميميات الماضي بكل تجلياته. ونجد في الرواية أن الكاتب ركّز على مدن "الدار البيضاء" و"الرباط" و"مراكش"، وقد اختارها المؤلّف نظراً للتحوّلات التي عرفتها خلال السنوات الأخيرة. إذ تحيلنا الرواية إلى هذه الأمكنة وما تعكسه من تحوّلات عديدة شهدتها، خصوصاً ما تعلّق بالجوانب السلبية منها، مثل: فوضى العمران، والشذوذ الجنسي، والسرقة، والاتجار في المخدرات،والعهر .....وغيرها من المظاهر اللاأخلاقية التي شوهت كثيراً هذه المدن العريقة. فهذه الأمكنة بالتحديد لم تكن اختياراً اعتباطياً من قِبل المؤلّف، بل اختياراً واعياً منه، لجأ إليها ليرصد عبر روايته أهم التحوّلات والمتغيرات التي طرأت على هذه المدن، مما انعكس سلباً على سكانها.هذا ما يؤكده الناقد والروائي محمد برادة في قوله:"وليس اختيار هذه المدن فضاء للرواية صدفة، وانما لأنها تجسّد التحوّلات السريعة في السلوك والصفقات، وظهور الفئات المستفيدة،من الانفتاح ومن مخاطر الأصولية والإرهاب"[12].

كما أن الرواية تنفتح على بعض الأمكنة المتعلّقة بشخصية البطل "يوسف الفرسيوي" ووالده "محمد الفرسيوي"، مثل مدينة "بومندرة" (وهي مولد الروائي محمد الأشعري)، ومدينة "زرهون"، حيث تعود الرواية بالحديث عن هذه الأماكن التي لا زالت تعيش وضعاً مزرياً، وبالتالي فإن محمد الأشعري يروم في روايته تقديم رؤيته الانتقادية إلى هذه الأمكنة، ومحاولة إبراز الصورة الحقيقية التي هي عليها اليوم.

**الزمن الروائي:**

يعدّ الزمن مكوّناًأساسياً من مكوّنات البنية السردية للرواية. فهو الذي "يحدّد طبيعة الرواية، مثلما يحدّد شكلها الفني الى حد بعيد، ذلك لأن السرد مرتبط ارتباطاً وثيقاً بطرائق الكاتب في معالجته، وتوظيفه لعامل الزمن"[13]. فبالنسبة لعنصر الزمن في الرواية، نجده يتعدد ويتنوّع حسب طبيعة الكتابة السردية التي يشكّلها الروائي في نصه. فهناك الزمن الخارجي(أي زمن الحوادث، والقراءة، والكتابة)، وهناك الزمن الداخلي(أي ترتيب الحوادث ترتيباً يخدم السرد ، ويكشف عما بين تلك الحوادث من تواقتٍ وتزامنٍ"[14].

على هذا الأساس، نعتبر زمن أحداث رواية "القوس والفراشة" يعود إلى فترة السبعينيات والثمانينيات، ويمتد أحياناً إلى "عصور سابقة من خلال خرائب زرهون ومن خلال المآثر الرومانية في وليلي. وبذلك فهي توسّع من أزمنتها كما وسّعت من فضاءاتها وشخصياتها، ممتلكة بهذا التوسيع عالماً روائياً كثير الثراء والخصوبة والبذخ، هو الذي يتحقق عبر دينامية النص الروائي وانفتاحه وتوتر مكوناته ومجالاته وأبهائه"[15]. وهذه الأزمنة التي استحضرها الروائي هي أزمنة واقعية وليست متخيّلة، خاصة فترات السبعينيات والثمانينيات وما شهده المغرب من تحوّلات عديدة في مختلف المجالات. مما جعل محمد الأشعري يعود إلى هذه الفترة بالتحديد لاستذكار الوقائع المؤلمة التي عرفها المغرب، خاصة فيما تعلّق ب:الفساد السياسي، والأصولية المتطرفة، والخراب الذي شهده العمران في المدن الكبرى على غرار: الدار البيضاء، الرباط، ومراكش.

أما بالنسبة لزمن كتابة الرواية فهو يعود إلى سنة 2010. وهي السنة التي كتب فيها محمد الأشعري روايته.أي كتبها منذ13سنة، وهذا هو زمن الكتابة، بينما زمن القصة(الأحداث) فيعود إلى فترتي السبعينيات والثمانينيات.

بالإضافة إلى ذلك نجد صفة أخرى للزمن في رواية "القوس والفراشة"، وهو الزمن المتعلّق بالأحداث الموجودة في متن الرواية، والذي نتعرف عليه من خلال الصيغ والكلمات التالية: صباحا، مساء، في الظهيرة، قبل الفجر، هذا اليوم...هذه الكلمات مرتبطة بعنصر الزمن. وهي التي تؤطر الأحداث التي يسردها السارد.يمكننا أن نذكر مثالاً واحداً للتوضيح: في (الصفحة10) ترد جملة مرتبطة بالزمن يسردها البطل "يوسف الفرسيوي":

"منذ هذا اليوم، انقطعت عن سماع الموسيقى ومشاهدة الأفلاموارتياد المعارض والمتاحف..."[16].فكلمة"اليوم" التي استعملها السارد، هي مرتبطة بزمن معين ومحدد برقم واضح ومعلوم، وكذلك مرتبطة بطبيعة هذا اليوم، أي ما هو اسمهذا اليوممن أيام الأسبوع. طبعاً في الرواية لم يتم تحديد "اليوم" الذي قرر فيه "يوسف الفرسيوي" الانقطاع عن سماع الموسيقى...وغيرها من الأمور التي كان يمارسها قبل مقتل ولده "ياسين".

**خاتمة:**

تمثّل رواية "القوس والفراشة" إحدى أهم وأبرز الروايات المغربية والمغاربية، التي شكّلت قفزة نوعية في مسيرة الرواية المغربية من خلال طبيعة الكتابة السردية التي عمد الروائي محمد الأشعري إلى تشكيلها. فقد استطاع الروائي أن يقدّم تجربة سردية متميزة من حيث تشكيلها السردي الذي مزج بين الحقائق التاريخية ممثلة في الأحداث والمواقف التي شهدها المغرب خلال السبعينيات والثمانينيات، بالإضافة إلى بعض الأجزاء من سيرته الذاتية. وبين التخييل كتقنية سردية، معتمداً في ذلك على عنصرتذويت الكتابة، أي جعل المحكي السردي يرتبط بسيرة المؤلّف، ويقوم باستثمارها في المتن الروائي، مرتكزاً في ذلك على شخصيات متخيّلةلتجسيد رؤيته الفكرية، المتعلّقة بالتيمة التي اختار الكتابة عنها. وتعدّ شخصية "يوسف الفرسيوي" الشخصية المحورية التي اعتمد عليها الروائي محمد الأشعري في سرد أحداث الرواية. فيوسف الفرسيوي هوسارد وبطل الرواية، وهو كذلك الصورة المتماهية مع الروائي محمد الأشعري.

يمكننا في نهاية هذه المقالة العلمية أن نذكر بعض الملاحظات حول هذه الرواية:

1.تعدّ رواية القوس والفراشة" لمحمد الأشعري أنموذجاً في السرد المغربي الذي يقوم على مغامرة التجريب الروائي، بغية تجديد نمط الكتابة السردية الروائية، سواء على مستوى الشكل أوالمضمون، بالاعتماد على تيمات وموضوعات جديدة، والنزوع نحو إدخال تقنيات وأساليب جديدة، لم يتم التطرق إليها من قبل. منها مثلاً:التذويت وربطه بالتخييل، من أجل كتابة رواية تمتح بعض أحداثها من تجربة مؤلّفها. وأيضاًاللجوء إلى تكسير خطية السرد، والاعتماد على تقنية السرد الاسترجاعي والسرد الدائري، وتجريب تعدد الأصوات في الرواية من خلال إعطاء الفرصة للشخصيات الروائية لتتحاور فيما بينها، وتعبّر عن مواقفها.

2.استطاع الروائي محمد الأشعري في روايته أن يثير مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالمجتمع المغربي، والمتمثلة أساساً في الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي شهدها المغرب خلال السبعينيات والثمانينيات.

3.إنّ رواية "القوس والفراشة" تدخل ضمن "رواية الأطروحة" مثلما سمّاها الناقد والروائي المغربي أحمد المديني[17]، لكونها تناولت أطروحة مهمة ضمن بنيتها السردية. فعبر فصولها تتوالى مآسي شخصياتها التي تعبّر بكل وضوح عن الخيبات والانكسارات التي عرفتها جلّشخصياتالرواية، خاصة عائلة الفرسيوي.

**الهوامش:**

1.محمد عز الدين التازي: التشكيل السردي في "القوس والفراشة" لمحمد الأشعري، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب، العدد79/80-2010 ص147.

(*).فازت رواية (القوس والفراشة) بجائزة البوكر العربية سنة2011.

2.محمد برادة: الرواية العربية ورهان التجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب2012 ص72.

3.محمد الأشعري: القوس والفراشة، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء(المغرب)/بيروت(لبنان)، ط2013/05 ص17.

4.محمد أمنصور: رؤيا الفسيفساء والتحوّلات الجارية في رواية القوس والفراشة لمحمد الأشعري، مجلة مقاربات، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز/فاس(المغرب)، العدد2015/21 ص05.

5.المرجع نفسه، ص05.

6.محمد برادة: تخييل الذات والتاريخ والمجتمع (قراءة في روايات عربية)، منشورات الدار المصرية اللبنانية، ط2017/01 ص250-251.

7.جميل حمداوي:دراسات في النقد الروائي (بين النظرية والتطبيق)، دار نشر المعرفة، الرباط(المغرب)2013 ص55.

8.بوشوشة بن جمعة:سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، منشورات المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط2005/01 ص162.

9.ينظر محمد عز الدين التازي: التشكيل السردي في "القوس والفراشة" لمحمد الأشعري، مجلة آفاق(مرجع سابق)، ص141.

10.محمد الأشعري: القوس والفراشة (مصدر سابق)، ص05.

11.ينظر جميل حمداوي: دراسات في النقد الروائي(بين النظرية والتطبيق)، مرجع سابق، ص150.

12.محمد برادة: الرواية العربية ورهان التجديد(مرجع سابق)، ص140.

13.إبراهيم خليل: بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف(الجزائر)، الدار العربية للعلوم ناشرون(لبنان)، ط2010/01 ص97.

14.المرجع نفسه، ص97.

15.عز الدين التازي: التشكيل السردي في "القوس والفراشة" لمحمد الأشعري، مجلة آفاق(مرجع سابق)، ص.147

16.محمد الأشعري: القوس والفراشة(مصدر سابق)، ص10.

17.ينظرأحمد المديني: تحوّلات النوع في الرواية العربية (بين مغرب ومشرق)، منشورات دار الأمان(المغرب)، ط2012/01 ص83.

**قائمة المصادر والمراجع:**


1.الأشعري، محمد: القوس والفراشة، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء(المغرب)/بيروت(لبنان)، ط2013/05.

2.أحمد المديني: تحوّلات النوع في الرواية العربية بين مغرب ومشرق، منشورات دار الأمان(المغرب)، ط2012/01.

3.أمنصور، محمد: رؤيا الفسيفساء والتحوّلات الجارية في رواية القوس الفراشة لمحمد الأشعري، مجلة مقاربات، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز/فاس(المغرب)، العدد2015/21.

4.برادة، محمد: تخييل الذات والتاريخ والمجتمع (قراءة في روايات عربية)، منشورات الدار المصرية اللبنانية، ط2017/01.

5.برادة، محمد: الرواية العربية ورهان التجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب2012.

6.بوشوشة بن جمعة:سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، منشورات المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط2005/01.

7.حمداوي، جميل:دراسات في النقد الروائي (بين النظرية والتطبيق)، دار نشر المعرفة، الرباط(المغرب)2013.

8.التازي، محمد عز الدين: التشكيل السردي في "القوس والفراشة" لمحمد الأشعري، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب، العدد79/80-2010.

9.خليل، إبراهيم: بنية النص الروائي(دراسة)، منشورات الاختلاف(الجزائر)، الدار العربية للعلوم ناشرون(لبنان)، ط2010/01.